في القضية النسوية

العقل الذكوري: إعادة صنع

ياسين طه حافظ

رضا الظاهر

وأنا أقرأ كتاب الأستاذ رضا الظاهر "أمير آخر مطرود" انتبهت إلى تنظيمة العقل المهيمن من خلال أحكام واستنتاجات العقل الذكوري والحديث عن نماذج النساء في الروايات البريطانية.
الأستاذ الظاهر، بسعته الثقافية وحداثة مصادره جعلنا لا نرى النساء في الروايات البريطانية حسب، ولكنه أرانا أيضاً النشاط العقلي الذكوري في التقلّب مع ما يريحه وما يُدين المرأة. ولعل هذا يتضح في الفصل الخصيب الذي تناول فيه بطلات شكسبير ، وأنا مدين له في أمثلتي..

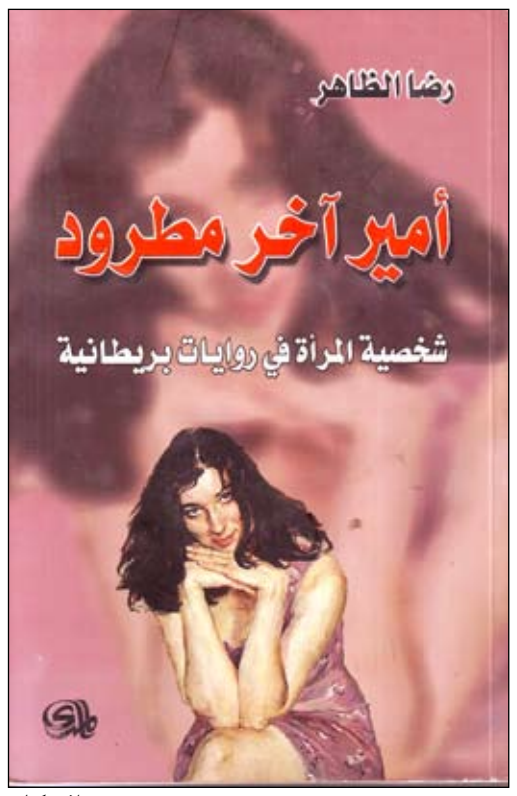

غلاف كتاب

فأوفيليا، البريئة والضحية، لم تنجُ من إدانة العقل الذكوري فهي ضعيفة تخضع لتأثير وسيطرة المحيطين بها وهي عاجزة عن التعبير عن مشاعرها العميقة ويؤدي اضطرارها الى كبت مشاعرها الى جنونها.. إن احداً لا يكلف نفسه ويعزو كل هذه مجتمعة الى الهيمنة القاسية، لضغط وتحكم والدها والملك.
وجرترود، أم هاملت زوجة الملك، هي في الرأي الذكوري شخصية ضحلة لا تفكر إلا بجسدها وفي متعها الخارجية وإنها كريهة لأنها جنسية، وهي ليست امرأة تزوجت ملكاً جديداً، بل زانية! ولم يشفع لها أنها كانت تحاول أن ترى الناس يعيشون بأمان حتى أنها تدفع التهم عن هاملت، تكذب، لكي لا يتعكر حال الناس وإنها تريد حماية هاملت وحماية كلوديوس وتهتم بأوفيليا ... هذا كله، نعم ولكنها زانية !
ولا يشفع للسيدة ماكيث سعيها السياسي في زمن مضطرب، وإنها حين ضعف زوجها عن التنفيذ ما أرادت لـ السقوط وافتقاد هيبته الذكورية ، فأدت المهمة عوضاً عنه أي أعطته عزمها وقوتها وقدرتها الآنية على الانجاز ... ما ظل من هذا كله أن المرأة تحدث فوضى ، وتثير متاعب أن تدخلت في السياسة. علماً أن كلاً من جرترود ام هاملت أرادت ملكا جديداً للدنمارك، وليدي ماكبث أرادت ملكاً، ورجّحت زوجها.
في انتونيو وكليوباترا تنقلب ادوار الجندر إذ يصبح انتوني هو الضحية. تقيده قواعد مجتمع روما البطرياركي، التي تريد منه الاحتفاظ بذكوريته وينأى عن السمات الأنثوية في الرغبة والعاطفة والحب. وبهذا هو ينال جنساً ولا يقدم حباً أو رغبة وبهذا أيضاً يكون دور العاشقة تابعاً للدور السياسي للرجل. وحين تختار نفسه الحب بدلا من السياسة، ينتصر على نفسه عبر انتحاره. إذن هو يقتل نفسه عندما يحب. بينما حين "يحب" عطيل يقتل دزدمونة "حبيبته" .
إذن أن تحب المرأة إما أن تقتلها أو تقتل نفسك. ما المطلوب إذن؟ المطلوب ضمن هذا التفكير ان نأخذ من المرأة الجنس. نجردها من انثويتها. وما يعقب أخذ الجنس منها، هو اللاحب واللاعلاقات انسانية. ومهما ابدت المرأة من طاعة، من خضوع، من براعات ، وحتى من طاقة عضلية، لا ينقذها هذا من الاتهام بالنقص، وبالارتباط بالاخطاء والشرور. فدزدمونة البارعة ، الذكية قبل الزواج تحولت الى خاضعة بعده. لكن الخضوع لم يدفع عنها القتل. أي لم يدفع عنها سلب انثويتها. المطلوب بعد كل الاسباب، هو إلغاء إنسانيتها. هذا المجتمع هو نفسه الذي جعل اوفيليا تفقد عقلها. ومثل هذا المجتمع ما يزال يدفع بالعشرات في مجتمعنا العراقي الى الانتحار. وهو العقل المهيمن الذي يضايق المرأة حتى في اوساط النُخب، اذ يتعاملون مع المرأة صيداً، للشراء او للهو بأجر – والأجر له اشكال كثيرة .. يعرفها المتربعون في المواقع العليا كأن يكون مِنَحاً، عوناً او تمشية اعمال.
وفي العمل ، دائرة ، صحيفة أو مصنع، يريدون منها الانجاز المتقن و "الشكل" الأجمل والرقة والحياء ... الخ. ويريدون مع هذه كلها فرص الاستباحة بأيّ من طرق التودّد أو الاحتيال الجنسي.
لكن، في الجانب الثاني، هي ليس لها الحق في ان ترى عملاً جيداً و "شكلاً" جميلاً وادباً وحياءً من الرجل. وليس لها الحق ايضاً في أن تحب وترغب. هذا الأمر قواعده مؤكدة في المنظمة الذكورية. وقواعد تلك المنظومة لها تذييل يمنح الذكورية حق التدخل في ألاّ تلبس كما يريح روحها وذوقها وثقافتها وتحضرّها. هم يريدون منها ما يريحهم!
هذا المنظور القديم والمزمن يلاحق اليوم، الاديبات والفنانات والصحفيات وحتى الطبيبات وسيدات القانون.
هذا يعني، اننا في الاوساط الثقافية، نكتسي بالثقافة ولا نمتلكها في عقولنا. هي ثوب خارجي وراءه رداءة وتخلف وبذاءات. وراءها كذب على العصر والناس. ثم أن الثقافة ليست شبكة للصيد. هي مكون حيّ للشخصية. إن فقدت حيويتها، بمعنى دورها الأخلاقي، ما عادت ثقافة، يمكن ان تكون سجل معلومات. لا فرق إن كانت على الرف أو في رأس أحد من هؤلاء.
وحين يجري حديث الادانات الأخلاقية، يحضر العقل الذكوري ثانية وبقوة: إنها هي التي ابتسمت أو ارتاحت للكلام أو لزمت الصمت ... إذن حتى الادب واللياقة الاجتماعية منها مدانان . فهي يجب أن تتحول ذكراً يصفع ويشتم ويحتال. معنى هذا الكلام أن تتحول عيوب الذكر ورذائله إلى ميزات وفضائل. وعلى المستوى السياسي والاجتماعي العام والفكري، أن تتحول السلبيات والمآخذ بل حتى الجرائم إلى ايجابيات تُمتَدَح.
وهذا واحد من الجوانب التي اتصلت بها الحركة النسوية العالمية بالتمرد والرفض السياسيين، فضلا عن قضية الحرية الأساس. من هذا نستنتج أن تنظيمات العقل الذكوري وتركيبته لم تتشكل بهذه الصورة عبثاً أو لمزاج. هي تركيبة سياسية نفعية. هي تركيبة استغلال وهيمنة. وهذا هو الجانب الذي رصدته الماركسية في قضية المرأة فصارت معنية بها.
وحين نرى سلوكاً تسلطياً، من الرجل، فهذا السلوك يدان بحالين. الحال الأمي المرتبط بالموروث، وهو أمر يعالج بالتربية البسيطة المتدرّجة، والحال الثاني، في الأوساط الثقافية، وهو حال يبتعد عن البراءة، كما عن التهذيب، ويقترب من الاحتيال والمراوغة الأخلاقية. لأن أياً من أولاء الفطاحل في الكلام النظري – الأدب، الفن ، الصحافة، الأكاديمية، المحاماة .... يتصرف بوجهين ، وجه المثقف المتحضر والذي يقدر شخصية المرأة المثقفة أمامه ووجه المحتال المستدرج. وهو حين يكلمها يستعمل لغة الثقافة مصحوبة بابتسام المخادع.
وهذا ما تدركه المثقفة الذكية وقد تتغاضى عنه ما دامت مؤقتة ستجتازها.، وقد ترتضيها لإمرار حاجة أو لتغطية ضعف ... وشؤون الحياة كثيرة على كل حال...
يوصلني هذا إلى حقيقة أن المجتمعات لا تتقدم بالمعلومة والمادة الثقافية، وحدهما ليستا كافيتين دائماً. ثم انهما ليستا أصيلتين دائماً. التربية من جديد، إعادة التربية القديمة إلى تربية حضرية معاصرة، هدف مطلوب لجميع المستويات من الدكان في السوق إلى رئاسة المنظمة او الوزارة. مطلوب أن يعاد التثقيف بثقافة ومتطلبات "مجتمع الدولة" في المنظمات وفي الجامعات والدوائر. احترام المرأة تفرضه قوتان اجتماعيتان. ثقافة حديثة حقيقية وأنظمة يسندها قانون اجتماعي حديث ورادع.
أما آن لنا أن نغادر الصبيانية في السلوك كما نغادرها في الكتابة والعلوم والتنظير؟ أن نترك إداناتنا للمرأة هذه المرة ونبدأ بإدانة أنفسنا، ازدواجيتها وكذبها؟ اعتقد بان العقل الذكوري بحاجة اليوم لإعادة "صناعته" . عند ذلك سنكون في مجتمع متوازن وطبيعي. مطلوب قلب بعض الموازنين لكي تنال الحقيقة، في الثقافة وفي السلوك، الاحترام الكافي..

قناديل

لطفية الدليمي

بحوث الإبداع الحديثة وتوصيف الديمقراطية

هل الديمقراطية فكرة إبداعية؟ هل الإبداع يشترط الغموض الذي لا يفتح مغاليقه سوى المبدعين؟ يذكر (البروفيسور جيه ستيرنبرغ) في مقدمة كتابه الكبير (التفكير الإبداعي وبحوث الإبداع العالمية) ترجمة الدكتور عبد المحسن شلش السراج – ما معناه أن نظرة الناس تختلف إزاء موضوعة التفكير الإبداعي، فقد يعتبر شعب ما أن فكرة الديمقراطية هي من صلب التفكير الإبداعي، بينما يرى أشخاص آخرون وربما سلطة دولة ما أو رؤية عامة لدى شعب، أن الديمقراطية قضية غير إبداعية بالمطلق، ففي الولايات المتحدة تعد الديمقراطية فكرة غير إبداعية كليا حيث أنها من المسائل التي يجري التفكير بها وتطبيقها وهذا يعني أنها فكرة تعاني من الوضوح بسبب إمكانية فهمها من قبل الجميع، ولذا فلا يمكننا اعتبارها قضية إبداعية بينما نجد شخصا في بلد آخر يمتلك فكرة عن الديمقراطية قد يعتبره البعض مبدعا – في الأقل – وهو يواجه (أفكار الحكومة) المستبدة.
وتختلف نظرة الدول أو حكوماتها عن الفكر الإبداعي – فالتعميمات حول الفكر الإبداعي تتقارب بخاصة لدى الحكومات التي تتوهم وتعلن أنها تعزز الإبداع لدى مواطنيها، غير أن أفعالها تشير إلى تجاهلها المحكم لتعزيز الفكر الإبداعي وإسناد المفكرين، ويذكر (ستيرنبرغ) أن الحكومات الشمولية تعتمد في دوام وجودها على تجاهل بحوث الإبداع ويتعرض فيها المفكرون والمبدعون إلى تهديدات لحياتهم لأنهم يطرحون أفكارا تخالف ما تؤمن به السلطة.
إن الحكومات التي تم انتخابها عبر عملية التصويت سرعان ما تتجاهل تفكير وأحلام الشعب الذي انتخبها وآخر ما تفكر فيه هو قبول الفكر النقدي والمبدع الذي يهدد وجود هذه الحكومات وهي تزيف فكرة الديمقراطية وتحصر عملية الدمقرطة في صناديق الانتخاب التي تعد واحدة من عشرات الأسس التي تكون الجسم الديمقراطي لأية دولة ولا تختلف في هذا عن النظم الديكتاتورية قامعة الحريات ..
لقد تطرقت في هذه القراءة الأولية – لكتاب التفكير الإبداعي إلى نموذج (التضليل) الذي تتخذه بعض الحكومات في الترويج لديمقراطية كسيحة تضاد التفكير النقدي والإبداعي الذي يضطلع به المثقفون والمبدعون والمفكرون وتضع نفسها في مصاف المعصومين وليس من حق الحريصين على المصلحة العامة – توجيه النقد لها أو تأشير أخطائها او التصدي لفساد منظومتها وإلا اعتبرتهم أعداء معلنين لسياساتها فهي ترى العالم من منظور أيدلوجيتها لا من منظور مصلحة الوطن، وتقسم الناس إلى عدو وصديق وهو التطبيق الديكتاتوري المستند إلى فكرة الثنائيات المتقابلة – الأبيض والأسود والشر والخير ومن هذا المنظور فإن من يمتلك السلطة سيكون في موقع الخيّر والمنقذ وما الآخر الذي ينتقده غير عدو يسعى لتهشيم سلطته فيعمد إلى إقصائه ومعاقبته وتتصور حكومات كهذه أن سلطتها باتت مقدسة لأنها كسبتها كاستحقاق وإرث يعوضها عن قمع تعرضت له سابقا فتستخف بمن يختلف مع نهجها ورؤيتها الواحدية للعالم والإنسان – ومن باب الاستخفاف بكل فكر نقدي تبدأ – وفقا لمبادئها المتزمتة – بتحجيم الحقوق الإنسانية لمن يختلف معها فكريا ومنهجيا وتحظر الحريات العامة التي يكفلها الدستور كحرية المعتقد والتفكير وحق التعليم والتنقل وحق العيش الكريم والنقد وحق التظاهر وحق محاسبة الفاسدين وترى في كل إشارة إلى هذه الحقوق الأساسية استعداء على هيبتها، لأنها باختزالها الديمقراطية إلى حدها الأدنى في التصويت فإنها تمسخ فكرة الديمقراطية التي تشترط أساسيات ملزمة كنهج للحكم السديد في النظم الديمقراطية.
(سأقدم لاحقا – قراءة ثانية لكتاب التفكير الإبداعي)

نص

دعـــــــوة

عبد الرحمن سعد ×

حـاول أنْ تنـامَ على رصيف دُكـانٍ مُغلق ليلاً. مد رجليك حد المد ثم ارفعْ اليمنَى على اليسرى. تأكّد جيِّداً منْ أنَّ الرصيفَ يتوسطُ ظهرك حتى لا تميل فتسقط ثانيةً.
ضعْ يديك على صدرك كف اليمنى على اليسرى وتـأمَّلْ نجـومَ الليل. ثُمَّ تتنفس بعمق وأغمض عينيك. لا تهتم كثيراً لمهمات المارة والتفاتات الأطفال إليك ... تجنب الكلاب الضالة .... ولكن أيضاً يمكنك مصادقتها فهي أحياناً أفضل من أناسٍ كُثر جربتَ معهم التعامُّل.
الهدوء الآن يسعُ كل الدكاكين حولك ....لا تفتح عينيك ....حـاول أنْ تخمدَ اشتعال رأسك بالأفكار .... فأنت الآن ..... تنام .جرو ضئيل الحجم، يتشمَّمكَ حتى تصلَ أنفاسه عند أنفاسك .....افتح إحدى عينيك واسعةً، يخاف فيهرب منك.
هاهم رجـال الشرطة يترجَّلون ويتقدَّمون نحـوك .....لا تحـاول الهربَ فقد يطلقون عليك النار .... أغمض عينيك وحـاول الشخير .... يتقدَّمهم ضابط ينظرُ إليك ملياً ثُمَّ يأمرهم بالانصراف مُعلِّلاً، فيقول:
الراجل دا مسكين ...
لا تضحك فأنت فعلاً مسكين ...على ماذا يَدلُ هندامُك المُمزَّق؟
ثُـمَّ رائحتُك النتنة وتشقُّق أرجُلك الحافية .....شكراً ل(لامـارك) الذي تنبَّه للتكيُّف.
ها قد أتى الصباح باكراً، انهض ثم حاول أنْ تجد لك ماءاً في المسجد أو ذاك الزير ....المسجد أفضل فالزير× طبعاً خـال منذ أنْ أصبحتْ المياه يُساهرُ لجمعها كحبات اللؤلؤ، تصلَ المسجد فتجده مغلقاً... لا يهم.... اذهب وابحث لك عَنْ طعام، فمنذ صباح البارحة لم تتذوَّقْ طعامًا، قفْ على طرف الدكان.... أشخص بصَرَك في صاحب الدكان ...يتململ من وجودك، يعطيكَ عملة معدنية .... لا تذهب ... شرْ له على طاولة الرغيف، يجلب لَكَ رغيفتين على مَضض وامتعاض خذهما بقوة وأسرع ...كُلْ إحدى الرغيفتين علَى عجل .... ثُمَّ اجلسْ مُقْتَرباً من حاجة (بتول) بائعة الشاي ،تنظَرُ إليك بحنان ، تقول:
كُر× عليك يا ولديَ
تعطيك الشاي الممزوج بالحليب، بعد ذاك ، حاول أنْ تعطيها تلك القطعة المعدنية .....فتقول الحاجة:
لا يا ولدي أمشي سای !.
أدلـف إلى السوق وتخيَّر لك مكان يناسبك أو لاَ، فوضعك الآن لا يَسرُّ، تـأمَّل جيداً الفتيات اليانعات وهنَ يحتفين بـأجسـادهـن....حـاول ألاَّ ينتابك شعور غريزي تجاههن .... انظر أيضاً لتلك المحجبة أو هذه المنقبة .... ألا تبدو عيناها جميلتين؟ يأتي مسكين آخر ويمدَ لك يده اليسرى بالسيجارة ... فتأخذها وتخرج من جيبك (سليسيون)× لتعطيه إياه.

×قاص وشاعر سوداني
×الزير : وعاءٌ فُخَّاري توضع فيه المياه لتبرد
×كُر: تعني بالمحكية السودانية والأسفاه.
× السليسيون: يُطلق علي لاصق يستخدم لإصلاح ثقوب الإطارات.

مابعة

اتحاد الأدباء يحتفي بيوم الثقافة الإيزيدية

جـزء من لوحـة متكاملـة للثقافـة العراقية

نورا خالد

احتفى الاتحـاد العـام لـلأدبـاء والكتاب العراقيين بيوم الثقافة الإيزيدية، إذ ضيّف عددا من الشعراء والكتاب الإيزيديين منهم الشاعران خالد خلات حجي المرشاوي وسليمان العدوي، والقاصون نواف خلف خدر السنجاري وسناء عصمان حسن طباني وحجي خلات حجي المرشاوي والإعلاميان من شبكة لالش مهند ناسو خدر السنجاوي وخدر خلات حجي المرشاوي، لقراءة عدد من قصائدهم والحديث عن تجاربهم الأدبية.
قدّم للفعالية الشاعر إبراهيم الخياط الذي بين أن الهدف من الاحتفاء بهذه المجموعة هو بناء مجتمع ديمقراطي متعدد، موضحاً أن هذه التعددية هي النوع وليس العدد أي لا يمكن أن ننكر أنها أهل البلد، أنهم أس من أسس البلد، وانهم يحملون بيضة العراق، فهم أهل الدرس الأول في المحبة والقانون واللغة ، وكل تاريخ أهل آشور وبلاد ما بين النهرين يعود إليهم، لذلك حينما نضيف المثقفين الإيزيديين فإننا نضيف طيفا عراقيا مهما، وان لديهم من الإمكانات الأدبية ما أشاد بها كبار الشعراء.
وتناول الشاعر سليمان العدوي تاريخ الديانة الإيزيدية إذ قال : الايزيديون بقايا ديانة قديمة تمركزت في شمال وادي الرافدين أطلق عليها تسميات عدة وخاصة بعد مجيء الشيخ عدي بن المسافر منها: الداسنية والتيراهية والصحبتية والعدوية والهكاري، يعيش اغلبهم قرب مدينة الموصل؛ في الشيخان، بعشيقة، بحزاني، سنجار، زمار والقوش. كما يعيش بعض منهم في سوريا بحلب والقامشلي وعفرين، وفي تركيا بديار بكر وماردين وفي أرمينيا وجورجيا. وأضاف : يتكلم الايزيديون اللغة الكردية وهي لغة الأم ولكنهم يتحدثون العربية أيضا، أما القبلة لدى الإيزيديين فهي الشمس باعتبارها أعظم ما خلق الله في الكون، وهي سبب وجود الحياة، اذ يتوجه إليها الإيزيدي عند الشروق والظهيرة والغروب بكل خشوع حافي القدمين رافع يديه إلى السماء. أما عن يومهم المقدس فأشار إلى أن يوم الأربعاء هو ذلك اليوم المقدس عند الإيزيديين فلا يجوز الزواج فيه. أما التوحيد فهو احد الأسس الثابتة في فلسفة الدين الإيزيدي، ولهم كتابان مقدسان هما جلوة ورش. وختم حديثه بالقول: الإيزيدية كديانة لها فكرها ومسلكها الخاص في أداء طقس الصلاة (الدعاء) لخالق الكون الله الذي يسمونه بلغتهم الاريية القديمة (خودى). و يقدر تعدادهم في العالم حسب أرقام لمنظمات تابعة للأمم المتحدة بحوالي ١،٥٠٠،٠٠٠ إيزيدي يعيش حوالي ٧٥٠ ألفاً منهم في العراق.
أما الشاعر محمد حسين آل ياسين الذي ابدى إعجابه بما سمعه من أدبهم – شعرا وقصة ومقالة – لكنه اعترف بتقصيره في معرفة هذا الإبداع قبل اليوم، فقد قال: كنت اعلم أن الإيزيديين في مناطقهم وصحفهم لهم نشاطات وإبداعات، لكن ما تلمسته اليوم أعلى مما كنت انتظر ، واخص بالذكر ما استمعت إليه من شعر وخاصة الشعر العمودي فلم أتوقع انه يوجد من هو قادر على كتابة القصيدة العمودية بهذا الجمال والإبداع والتأثير القوي.
وعرج القاضي زهير كاظم عبود والباحث في الإيزيدية على محنتهم إذ أكد أنهم مغيبون تاريخيا ودينيا حتى داخل هذا البلد الذي هم جزء منه، وهذه المحنة نتجت عن عدم وجود تاريخ مكتوب لديهم، فكل ما كتب عنهم دمر أو اتلف حتى شمل كتبهم الدينية، وأضاف: تعرض الايزيديون إلى مجازر لا تحتمل، ولهذا لا تجد سوى التاريخ الشفاهي الذي يحمله رجال الدين منهم وخاصة القوالين، ولكن عندما نبحث في ثنايا الديانة الإيزيدية نجد انه ليس فقط الإيزيدية وإنما كل الديانات في منطقتنا تتعكز على إبراهيم الخليل، ولكن لا يوجد هناك دليل مادي ملموس نستطيع أن نرتكز عليه .
وكان مسك الختام الناقد فاضل ثامر الذي اعترف بتقصيره إلى درجة كبيرة في التعرف إلى هذا الوجه المهم والمهمل والمهمش من مكونات شعبنا العراقي، وقال: انتم لستم غائبين عنا أنتم دائما في القلب. ودعا ثامر الأدباء الإيزيديين الى الخروج من الشرنقة والقوقعة عن طريق الكتابة ليكونوا جزءا من اللوحة المتكاملة للثقافة العراقية.
بعدها قدم الأمين العام لاتحاد الأدباء الفريد سمعان لوح الجواهري إلى الوفد المحتفى به.